الفصل السادس

رنية

بعد خروجنا من سهل معشر الذي انتهى على بعد أربعة أميال من معسكرنا، واصلنا سفرنا فوق أراضي الناصفة والنويصفة، الصعبة العامرة بالشجيرات، والتي كانت أسطحها مخدشة بالمجاري الضحلة المنحدرة من الأراضي المرتفعة ومن السلاسل، على يميننا، إلى منخفض الغراميل. واشتق اسم سهل الصخور البركانية العظيم اسمه من هذين الموقعين، إذ يدعي: حرة الناصفة. الاسم الأول «نواصف» هو صيغة الجمع للثاني وهو «نصيفة». وتعني كلمة نصيفة بالمناسبة، استراحة منتصف الطريق، أو الخط الفاصل -ربما- بين محافظة الخرمة من جهة ومحافظة رنية من جهة أخرى. امتدت الأرضان إلى حوالي (١٣) ميلاً، لينتهيا عند منخفض، مشجر، ضحل يسمى سرجوج الذي يجري نحو الرمال الشرقية من قمة صفراء. تقوم حرة الناصفة بتصريف سلسلة أبي سنون من الجانب القريب من الصخور البركانية بينما تنحدر نصيفة من هضبة نعمي داخل الحزام البركاني.

وصلنا إلى مجموعة من هضاب مبعثرة مباشرة فيما يلي وادي سرجوج، - الذي يبلغ عرضه ثلاثة أميال -، وتسمى هذه الهضاب يعايم -جمع يعومة-. كان سبعة منها تقع في أرض ذات أعشاب وشجيرات منخفضة، قمت بتسلق قمة إحدى هذه الهضاب وكان ارتفاعها حوالي (٢٠٠) قدم، وتسمى جنوبية. ورأيت من قمتها، العلامات الأرضية نفسها كتلك التي وصفتها عند قمة العاقر إلى جانب أخريات. منها الهضبة الحادة المسماة قمة مخيط الواقعة في رمال عرق سبيع، إلى

جانب مجموعة هضاب صغيرة، تسمى الوضيفيين وتقع إلى الشمال الشرقي من موقعنا، ظهرت ملامح باهتة لجبل بعيد في الاتجاه نفسه وفي مرتفعات وسط نجد يدعى حاضن. نستطيع الآن رؤية سلسلة سللي على الجانب الأيمن لوادي رنية الذي يقع أسفل الواحة. أفادني دليلي أن موقع شرب الماء يقع قريباً من سلسلة حزوة الرملية في العرق. كما توجد أيضاً قمم في سلسلة جبال مضحور[١] إلى يسار كتلة المصلوخ، كما أمكننا أيضاً رؤية تل التغذوة المنخفض البارز على الجانب القريب إلى رنية، وظهرت من خلفه علامات بارزة هي: ورك منيرة، والخثعمي والقمة المسطحة لهضبة الشريف وسلسلة العير الأسود، والتي يجيء من خلفها، وإلى امتداد المسافة نفسها التي تفصلها عن وادي رنية. ينطلق مجرى وادي بيشة، ملتقى هاذين الواديين، من مكان ما خلف سلسلة سللي ليتحد مع ثالث هذه الأودية الجنوبية العظيمة، وهو تثليث عند أو بالقرب من حوض حجلة المختمية حيث يبدأ وادي الدواسر العظيم. كانت طبيعة هضبة جنوبية من جرانيت أحمر غير أنه وحسب ما أستطيع من حكم، فقد كانت كل رفاقها من الصخور المحيطة في اليعايم بازلت داكن اللون.

استمر سيرنا فوق سهل واسع ذي حصا ناعم وغطاء نباتي فقير. إذ لم تكن هنالك سيول في هذه المناطق المجاورة خلال الشتاء، وتبدو، بلا شك، جافة جداً ومهجورة. وصلنا بعد فترة إلى سهل جزعة، الذي تصب عبره مرتفعات كور المجامعة تجاه حزوه. وجدنا أنفسنا، بعد أن قطعنا مسافة (٤٥) ميلاً، من عند معسكرنا في مْعشر، ندخل أرضاً تقع بين المصلوخ على يسارنا، وكور المجامعة،

(١) هذا الجبل لا يسمى (مضحور) كما يذكر فيلبي وإنما يسمى (أبا الضلمان) (مقابلة مع مترك السبيعي) (ابن جريس).

على يميننا. كان عرضها حوالي الميل الواحد فقط، وكنا، في هذا الموقع، قريبين لأرض مرتفعات المصلوخ، وقد كانت شامخة فوق رؤوسنا. بدأنا أيضاً نرى منازل ونخيل رنية على مساحة ليست بالبعيدة. ثم قمنا بعد استراحة قصيرة في هضبة الرزيزاء للاستمتاع بالمنظر الممتد أمامنا، قبل أن نصبح جزءاً منه، بتكملة بقية الأميال الثمانية -كان إجمالي المسافة (٥٣) ميلاً من معشر و(٩٢) ميلاً من الخرمة-، لنصل إلى باب قصر ابن صامل مقر الأمير المحلي، وذلك عند الساعة (٤,٣٠) عصراً.

قمت وبصحبتي ابن فرج بمقابلة الحاكم، وهو من أبناء الرياض، اسمه حسن ابن دغيثر[١]، بينما كان رفاقنا يهيئون المعسكر ويشرفون عليه. تم تعين الحاكم لهذه الوظيفة قبل عام بدلاً عن الشريف المحلي - ابن صامل والذي لم ينازع حتى ذلك الوقت في حقه الوراثي في السيطرة على الواحة والمنطقة. يتعرض المسئول المحلي دائماً إلى العجز المتعلق بالشجار الشخصي والعائلي والغيرة، وأصبح من سياسة ابن سعود أن يستبدل أصحاب المقام الرفيع المحليين بموظفين آخرين يختارون من طبقات موظفي الدولة المدنيين المتزايدة، كان الاعتراض الوحيد ضد التغيير، وما يزال، هو احتمال أن يتم إغراء هؤلاء الموظفين أو انتهازهم الفرص الواضحة لابتزاز المال والاختلاس لزيادة رواتبهم ولكن، وبصفة عامة، فإن النظام يعمل بصورة مرضية بما فيه الكفاية، ذلك لأن الملك كان يشرف بنفسه على النظر

(١) هو حسن بن محمد بن حسن بن عبدالعزيز بن دغيثر، تولى إمارة الوجه سنة ١٣٤٧هـ (سنة السبلة) كما أفاد بذلك الأستاذ عبدالعزيز الدغيثر، ثم ولاه الملك عبدالعزيز رئاسة المدد المكون من أهل العارض والذي أرسل إلى الجنوب سنة ١٣٥٢هـ. وكانت وفاته في الوباء الذي حل في رنية سنة ١٣٦٠هـ، كما قال بذلك الشيخ محمد بن فالح البرقي، وليس له عقب -رحمه الله-. (ابن جريس).

في كل الشكاوى المرفوعة ضد ممثليه في المناطق وكان لا يتردد في إبعاد الموظفين ذوي الأداء غير المرضي. وقد يستبعد مثل هؤلاء الموظفين أحياناً بحجة أنهم أصبحوا محبوبين جداً محلياً، على مبدأ أن الرجل الذي ينجح في نيل إعجاب كل شخص، لا بد أن يكون فاشلاً في أداء واجبه، بطريقة ما، إذ أنه ربما يكون لين الجانب في تحصيل الضرائب أو في تنفيذ الجزاء على المذنبين.

يوظف ابن صامل وقته الآن وبعد أن أصبح حراً بسبب ابتعاده عن واجباته الوظيفية، في الحياة في الصحراء كما كان يفعل معظم رجال المدن أشباه البدو، غير أنه كان غائباً في هذا الوقت لسبب خاص. فقد ظهرت حمى الواحة، التي ذكرتها من قبل في حديثي عن الخرمة، في رنية، وأي شخص يستطيع أن يرحل سراً يفعل ذلك هرباً من الوباء. سقط الكثير من الناس بالحمى، غير أنه لم يكن عدد الوفيات كبيراً. لا يزال هنالك كمية كبيرة من المياه الجارية في الوادي، وحقيقة فهناك نهر جارٍ من الواحة الرئيسة (الروضة) إلى العمايرِ وما وراءها إلى درجة أن الوادي يمر مخترقاً سلسلة سلي في طريقه إلى الصحراء.

قابلني الحاكم بمزيج غريب من التحفظ والترحيب. كما بدا لي وكأنه كان يحاول أن يعترض بكتفيه موقع قُبلتي التقليدية على الجبين والتي كانت هي التحية التي يتلقاها الملك وممثلوه من الزوار. أو لعله نفر من رائحة التبغ حول ذقني[1] غير أنني أحس بأنني قد تخيلت هذا التحفظ، ذلك لأنه لم يكن هنالك شيء

(١) أعتقد أن نفور أمير رنية من تقبيل فيلبي بحرارة يعود إلى رائحة التبغ في فمه ولحيته ووجه، وقد قابلت بعض المسنين في جنوبي البلاد السعودية والذين لا زالوا على قيد الحياة وقد شاهدوا فيلبي أثناء زيارته إلى مناطقهم فذكروا أنه شديد الحرص على شُرب التبغ في (غليون) خاص به، وهذه العادة عرفها عنه كثير من معاصريه. (ابن جريس).

ناقص في مودته وفي محادثته أو في رغبته الواضحة للمساعدة بعمل أي شيء لتحريك مغامرتي. بدا هذا حتى في لباقة تقديم أول كوب للقهوة والشاي إذ كان الضيف هو الذي يخدم قبل المضيف وهو الحاكم[١]. كان من ضمن من حضر الحفل أحد التابعين الوفيين للأمير فيصل، عبيد بن جرش، وكان في إجازته وقد قدم من مكة. يمتلك عُبيد منزلاً في قرية الحزيميات بجوار الروضة وعلى حافة الوادي، حيث دعاني في اليوم التالي، إلى تناول فطور خفيف من تمر محلي وخبز من البر على هيئة الدوائر الرفيعة، ولبن رائب. كان بعض الضيوف الذين دعاهم لمقابلتي، من الضحايا الحديثين للحمى، كما يبدو عليهم، فقد كانوا كسولين وكان لونهم مريضاً مصفراً. أفادوني بأن الحمى تتكرر في أيام متبادلة، وأصر أحد الضيوف على أن يكشف لي عن بطنه المنتفخ برغم أنه ذكر أنه لا يحس بأي آلام. ولما لم يكن معي دواء الكينين، لم يكن بوسعي إلاَّ أن أنصحه بزيارة الطائف لمراجعة الأطباء هناك.

ذهبت إلى المعسكر بعد مقابلتي الأولى مع الحاكم لأخذ حماماً منعشاً بالماء البارد وأغيِّر كامل ملابسي. كان اليوم شديد الحرارة، وكنا بالفعل بلا طعام على امتداده، عدا تمرات قليلة، وكان أسوأ ما لدينا من أمر هو شح الماء المتوافر لدينا، إذ إن ما كان متوافراً قد تم صرفه في تشغيل الشاحنة التي حدث بها تسرب للماء في الراديتر، كما أن مرافقيَّ الستة كانوا لا يترددون في شرب الماء متى ما أحسوا بالعطش. بقى الآن، في حوزتي، على أي حال، ما مقداره أربعة جوالين ماء كاملة تكفي لحاجة الوضوء، وأحسست بالراحة حينما حضر مدير ضيافة الأمير

(١) خدمة الضيف قبل المضيف من العادات العربية الجيدة التي توارثوها أباً عن جد، وهذا يدل على إكرام الضيف والاحتفاء به فيعطي أول الحاضرين من أي مشروب أو طعام يوزع بينهم. (ابن جريس).

لدعوتنا لتناول العشاء في المنزل الحكومي. كان العشاء ممتازاً -على عكس الوجبة سيئة الطبخ التي تناولناها في الخرمة- اشتمل على حمل طري اللحم مطبوخاً بروعة، وقد وضع أمامنا على كوم من الأرز المعالج بمسحوق الليمون الناشف. كان العشاء لذيذاً. وكما جرت التقاليد، فقد عدنا إلى خيامنا مباشرة بعد مشاركتنا للطعام، أرسل لنا الأمير في الصباح التالي زوجاً من الأغنام، إحداهما كانت لوجبة الغداء في معسكرنا الخاص.

اقتلعت عاصفة قوية خيمتي غير أنها كانت قصيرة المدى، وذلك حينما كنا بعيدين نتناول وجبة العشاء في ليلتنا الأولى تلك، كان يصحب العاصفة زخات من مطر قليل وذلك للتحذير، كما كان هنالك الكثير من لمعان البرق من فوق الجبال دون صوت رعد يسمع. كان المساء مغطى بالسحب بصفة عامة، ولذلك فقد تأجلت ملاحظاتي لدراسة الطقس إلى يوم الغد، وكنت سعيداً حينها بذهابي للنوم قبل الموعد المعتاد. كانت هنالك أسراب للحشرات تجول حول مصباحي، كما كان الحال في مُعشر، خاصة خنافس الروث، التي كان المرء يلتقط صوت قدومها من بعيد كأنه أزيز الطائرة. لم تتكرر زيارة الأوروبيين إلى رنية. أول من فعل ذلك كان ليوبولد فايس وهو استرالي (نمساوي) مسلم وصحفي وقد قضى ليلة هنا في عام ١٩٢٧م.

لقد زرت المكان مع الملك في حملة صيد في عام ١٩٣٤م. ومباشرة قبيل هذه الزيارة الثانية لي. عَبر أحد مهندسي المناجم لشركة التعدين العربية السعودية بالسيارة من هنا في طريقه إلى بيشة، ومنها إلى بلاد غامد حيث تم استقصاء إمكانية وجود منجم ذهب آخر. ويبدو أن الموضوع لم يكن واعداً. بذلت محاولة إلى الوصول إلى المكان بالسيارة من تربة على الجانب الآخر من حقل الصخور

البركانية، غير أن السيارة انتهت إلى مصير محزن. وقد زعم أن السيارة سلكت الاتجاه المعاكس لدرب إبلي لعام ١٩٣٢م من بيشة إلى تربة ولا يعرف تماماً كيف وقعت المتاعب التي أدت إلى كسر النابض. كان المهندس الذي أشرت إليه، في طريقه للإنقاذ، بينما بدأ رفيق له -على ظهر جمل- الرحلة من تربة للغرض نفسه.

يقدر أن يستغرق درب الإبل المباشر من رنية إلى الخرمة مدة ثلاثة أيام عبر الحرة، وحيث تكون المرحلة الأولى إلى فوهة الصفراء والمرحلة الثانية إلى بئر جويف بالقرب من شعيب حثاق، والمرحلة الثالثة إلى الخرمة. يتجه طريق تربة غرباً إلى الممر الأسفل للريع وهو معلَّم بتل هرمي بارز يقع على يساره، ثم يعبر منه إلى هضاب منخفضة تسمى الأنصب في سهل وادي بحرة المنخفض. يدخل الطريق بعد ذلك إلى حقل الحمم البركانية، متوجهاً ناحية الغرب، ماراً بالجانب الشمالي لفوهة هضيب ويصطدم في نهاية الأمر بطريق بيشة - تربة الذي كنت قد سلكته في رحلتي عام ١٩٣٢م، تستغرق هذه الرحلة بالجمال حوالي أربعة أيام أو أقل.

قضيت أحسن أوقات الأيام الثلاثة وأنا أتجول في واحة رنية. إلى جانب الارتحال حول القسم الأوسط للواحة والفحص التفصيلي لقسم الضرم من الواحة، تجاه أعلى الوادي، فقد قمت بمسح كل المشهد من قمم لثلاث هضبات تسيطر على منظر ممتاز، هي هضبة الرزيزاء في طريق الدخول، قمة تغذوة الجرانيتية والتل المحدد، الريع الذي سبق ذكره، في طريق الخروج.

لقد عبرت وادي رنية في عام ١٩٣٢م إلى مسافة طويلة اتجاه أعلى الوادي في

الواحة. ثم يهبط الوادي من تلك النقطة، كما يرى ذلك عند قمة الريع -يرتفع إلى ٥٠٠ قدم-، بين سلسلة الشايل على جانب الوادي الأيمن، ومجموعة هضاب صغيرة مبعثرة على حافة الحمم البركانية على الجانب الآخر. كانت الأرض المرتفعة في زاوية شايل هي الأقرب إلينا، وتبعد حوالي ثلاثة أميال، بينما يفصلنا عنها سهل بحرة على جانب الوادي الأيسر، بينما يفصل سهل مماثل الجانب الشرقي لشايل عن سلسلة كور الرئيسة إلى الجنوب البعيد حتى تل خشرم. يطلق على الهضبات التي على الجانب الأيسر المشار إليها اسم الأنصب والسباعين، بينما إلى البعيد في حقل الصخور البركانية وأمام هضيب يقف تل وسيم الصغير بجوار بئر يسمى قلب الحسا[١]. كانت أولى الهجر في واحة رنية عند النهاية أعلى الوادي هي قرية الأملح الصغيرة ومزارع نخيلها وتبعد حوالي ميل ونصف الميل من موقع المعاينة. كما تقع قليلاً إلى أسفلها الجرثمية وهي هجرة مشابهة، وعن طريقها يصب مجرى بحرة في الوادي الرئيس، يسكن هاتين القريتين عناصر تنتمي إلى سبيع: المكاحلة، والمشاعية، والصنادلة، وآل محمد، والمفالحة. لا بد وأن يكون موقع قرية الأملح على بعد سبعة أميال عكس اتجاه الوادي من هذا المركز، طالما كانت هضبة الريع على بعد ستة أميال من قصر الأمير.

يشق الوادي طريقه عبر الحاجز الصلد لسلسلة الكور على مسافة قصيرة أسفل الجرثمية، في ممر يسمى الخنق المضيق، لا يزيد عرضه عن (٥٠) ياردة في بعض الأجزاء بين كتل جرفية عالية حادة وبازلتية. يسمى الكور ناحية الشمال باسم المجامعة والذي يقع ناحية الجنوب باسم برحة. لا يزيد طول هذا الممر عن

(١) يطلق أيضاً على قلب الحسا اسم (بقيع). (ابن جريس).

(٢٠٠) أو (٣٠٠) ياردة، وتقوم عند نهايته الشرقية مزرعة نخيل صغيرة في خليج ضحل ينتهي إلى صخرة منعزلة ضخمة، تضيق عنق الوادي إلى أقل من (٥٠) ياردة. تبدأ مجموعة من قرى صغيرة ومن مزارع، مباشرة أسفل هذا الموقع، تسمى الضرم. كما تسمى مزارع نخيل خنق والصخرة اسم السايلة وتبعد أقرب قرى مزارع نخيل الضرم مسافة (٢٥٠) ياردة مع اتجاه أسفل الوادي إلى المضيق، وعلى جانب الوادي الأيمن يوجد مقابل وهي قرية كبيرة غير منظمة ذات مساحة معتبرة لزراعة النخيل. تقع على الجهة المقابلة لها، وعلى الجانب الأيسر، قرية سويدة الصغيرة وهي عبارة عن قريتان صغيرتان داخل حزام نخيل متعرج، وتقع الحرف أسفلها. يمر طريق السيارات عبر هاتين القريتين، ثم يعبر الوادي، الذي كان يجري فيه الماء في هذا الوقت بين مقابل والسايلة. توجد قرية ومزارع القاعية قليلاً أسفل الحرف وأيضاً على جانب الوادي الأيسر، لتكملة الصورة الرثة للضرم. يسكن كل هذه القرى الصغيرة فخذ المجامعة من سبيع.

تمتد مساحة كبيرة من السبخة -سهل ملحي ناعم- فيما يلي هذا الموقع، على جانب الوادي الأيسر، وإلى مسافة تجاه الشمال، بينما، على الجانب الآخر، يوجد سهل صحراوي مرتفع يمتد من سلاسل منفصلة ومنخفضة تحيط بكور برحة. يفصل الضرم عن الواحة المركزية فجوة يبلغ طولها الميلين، وتوجد في الواحة المركزية قلعة الأمير التي تقف منعزلة ومنفصلة عن القرى الثلاثة: الحزيميات، والروضة وسوق -وهي مجموعات من المنازل وساحة مركزية للسوق-. توجد مزرعة منعزلة وحديثة تسمى غرس بن ضفر تقع على مسافة ربع ميل في اتجاه أعلى الوادي وفي داخل هذه المجموعة، كما يوجد إلى أعلى منها مزرعة سيئة الحال تسمى مرجة وهي أكثر نقاط الواحة قرباً إلى الضرم. ويقع نخيل الملحة

-أخيراً- على مسافة نصف ميل -تجاه الشمال- في أرض مالحة بعيداً عن الوادي. لا يسكن أحد داخل مزارع النخيل الثلاثة الأخيرة، ويقوم بزراعتها والاهتمام بها مستأجرون يجلبون من قرية السوق. تعد الروضة قسماً ثالثاً لسوق أو سوق المراغين وهذا اسمها الكامل. يتفرع فخذ المراغين من سبيع، ورئيسها هو عبدالله بن قطنان من فخذ القطانيين. يلاحظ أن قرية الحزيميات منفصلة، ويطل قصر الأمير بارزاً فيها عند طرفها الشمالي. تمتلك هذه المجموعة من القرى عدداً من مزارع النخيل الواسعة التي تمتد مسافة معتبرة على طول الوادي وتكون أكثر وضوحاً ناحية الشمال.

يجري الوادي هنا من جهة الغرب إلى الشرق ويمر بقمتي السبعانة -موقعان خلفيان يقعان على مسافة ميل واحد من جانب الوادي الأيمن-، متجهاً إلى القسم الأخير للواحة، يسمى إجمالياً العمامير ويقع على بعد الميلين أو أكثر تجاه مجرى الوادي. تشتمل العمامير نفسها التي تقع على الجانب الأيسر على قسمين هما: العطف إلى الغرب -يمتلكها الوزران من سبيع- ومضل إلى الشرق[1] -ويمتلكها الشماسات التابع للقبيلة نفسها-. يفصل بين القسمين حاجز رملي، بينما، وإلى مسافة ربع الميل إلى الشمال منهما توجد أرض ذات كثبان رملية منخفضة قيل إنها تخفي في ثناياها بقايا قريتين قديمتين. تقع في الاتجاه المقابل للعمامير، وعلى الجانب الأيمن للوادي قريتان صغيرتان مع مزارع نخيلهما. تسمى الغربية منهما الويباني، ويملكها السودة سبيع وتسمى الشرقية العثيثي ويملكها ابن بطحان وهو من آل محمد.

(١) مضل: يسمى في الوقت الحاضر (القوز). (مقابلة مع مترك السبيعي). (ابن جريس).

كما توجد إلى ما وراء هذه المجموعة، وتجاه الشرق، قريتان أو مزارع نخيل، كما يبدو أن الوادي يجري فوق كثبان رملية متدهورة برغم وجود شريط طويل من غطاء نباتي أخضر في بطنه حين يحتضن جانب وادي سللي. يمر الوادي وعلى مسافة ستة أميال ناحية الشرق بتل يسمى أبرق مرومة وهو منخفض تكسوه الرمال من أقصى الطرف الجنوبي لرمال عرق سبيع والتي يتقابل في مكان ما، فيما يليها، واديا رنية وبيشة. يعبر طريق الجمال العادي من رنية إلى وادي الدواسر قليلاً ناحية الجنوب الشرقي إلى سلسلة جبال ضلفع جنوب سللي، حيث تنتهي المرحلة الأولى هنا، ويصل المسافر في يومه الثاني إلى بئر تسمى بحير[١] فيما وراء سلسلة جبال جداير الحشيشي في منطقة النفود -ربما امتداد لنفود الدحي-. تكون المرحلة الثالثة هي الوصول إلى محْضب عبر حوض حجلة المختمية، وفي اليوم الرابع يصل المسافر إلى اللدام[٢].

كان من أبرز السمات في هذه البلاد المتفرقة التلية التي تقع إلى جنوب الوادي، سلسلة أبو كُلان البازلتية والحزيم والتل الرملي المكوّر المرتفع ويسمى قوز أبو الدفوف كما يسمى أيضاً الحمَّان. تبدو قمة الأول وكأنها مشط ساقط على ظهره مع بروزان صخريان كالأبر النحيلة ممتدة في استقامة عند الوسط. ويدل اسم الثاني على الرمال المغنية، وسأصف، في وقت لاحق، تجاربي حول هذا. كان ارتفاع كتلة تغذوه الشاخصة، التي التقطنا من فوق قمتها مشهداً جيداً لهذه السمات، وهي قمة ترتفع حوالي (٢٠٠) قدم فوق مستوى السهل وتبعد حوالي ميلين ونصف الميل عن معسكرنا.

---

(١) بئر بحير: تسمى اليوم (بئر الشقيب). (ابن جريس).

(٢) وربما يطلق على (اللدام) اسم (أم الدام) أيضاً. (ابن جريس).

كما تحصلنا، من فوقها أيضاً، على أحسن المناظر للبلاد التي تقع بعيداً تجاه الشرق، برغم أن مستوى الرؤيا لم يكن جيداً، وقد بدت الكتل الجبلية العظيمة لوسط نجد تشاهد في خفوت عبر الغيم الخفيف. توجد أولاً، وأمام عرق سبيع هضبات صغيرة عديدة، عادة سوداء اللون، وفي مجموعتين تقعان إلى شمال الشمال الشرقي وتسميان الوضيفيين وبني واردة. يشمخ العرق نفسه وبوضوح تام في مقدمة المشهد فيما يلي السهل ذي الرمال الخفيفة، والذي يفصلنا عنها، ووقفت الجبال فيما يليها إلى الشمال الشرقي، على مسافة تتراوح بين (٤٠) إلى (١٠٠) ميل. وهي هضب الدواسر وشيثير إلى يساره، وخلف شيثير يقع ورشة وعلى يساره يقع حاضن وهو أيضاً قريب منا، ثم منخرة فيما وراء ورشة ويقع بينهما في الوسط عمود الصاقب الطويل الأحمر. وحسب حكمي على ما جمعته من معلومات من الأهالي، فإن بعض هذه الكتل الصخرية من أصل حجارة رملية والبقية من أصل جرانيت أو بازلت.

كان الجو ثقيلاً والسماء معتمة حينما جلسنا بين حزم الجلاميد في تغذوة في آخر النهار في الثالث والعشرين من مايو. هطلت زخة مطر قصيرة عند الساعة الرابعة مساء، وكانت القطرات الساقطة بطيئة، وثقيلة، ولينة كأنها محذرة لنا بالعودة. كما تدافعت عبر السهل من جهة الغرب إلى الشرق كتل صغيرة من الرمال متجهة إلى الأفق الذي يبدو أنه سوف لا يقترب أبداً، بينما تحركت الرياح مروية بين الكهوف والصدوع في الصخور التي من حولنا. وسرعان ما غابت الأرض كلها عن الأنظار بسبب عاصفة ترابية منخفضة العلو حتى بدت خلالها قمم التلال وكأنها شبح في الضباب، ثم انهمرت السماء بصفقات فجائية للرعد بشيراً لها. وانفتحت السماء فوقنا في لحظة وانصبّت الأمطار مما دفعنا إلى اللجوء

داخل أحد الكهوف طلباً للحماية، نطيل النظر إلى السهل الذي تحول إلى متاهة لمياه جارية. أوقف السيل التراب المتعلق، غير أننا كنا لا نزال نرى الرمال الطائرة على بعد، معلنة أن الأمطار لم تمتد إلى تلك المناطق.

هطلت الأمطار بغزارة لمدة نصف ساعة ثم توقفت فجأة وحلّت مكانها عاصفة تنبح. خرجنا زاحفين من أماكن اختبائنا وقمنا بقيادة سياراتنا عائدين متحاشين وبحذر المناطق الطرية من الأرض المالحة. اقتلعت العاصفة خيمتي تماماً وألحقت بها ضرراً شديداً يعيق نصبها من جديد، ولذا فقد قضيت الليلة في العراء، أتأمل السحب الثقيلة تتدحرج بعيداً لتكشف عن النجوم. يوجد الكثير من البعوض غير أنه ليس في أسراب، ومما أدهشني نوعاً ما أنه من محدثة وحتى هنا كانت كل الليالي خالية من الندى. أوضح قياس المطر أن ما هطل كان ربع بوصة فقط، جلبتها تلك العاصفة.

ذهبت إلى الأمير لوداعه قبل أن أغادر رنية. كانت ردهته ذات أبعاد ضخمة ولكنها مظلمة ولحد ما متسخة وبلا نوافذ، ما عدا عدداً من منافذ التهوية عالية على الجدران لسحب دخان موقد القهوة. مررت في طريقي عائداً إلى المعسكر عبر شوارع قرية السوق ورأيت المسجد الجامع.

كان أول أهدافي، بعد أن واصلت الرحلة، هو الوصول إلى تل الريع الهرمي، الذي قد سبق وصفه، ومن عنده عدنا إلى طريق السيارات، متوجهين إلى الحرف والسوادة عند تقاطع خنق. بناءً على توجيهات دليلي الجديد -محمد بن عبدالله من قبيلة المراغين- فقد تم دفع الأجر لمطير الدليل السابق مقابل ما قدمه من خدمات، وأصبحت له حرية اتخاذ قرار العودة إلى الخرمة- ثم قمت

بقيادة الفـريق عبر طريق ملتوٍ فوق مـياه ضحلة، وكان سائقي الخاص، مـحمد، يقود عربة البيك أب على إثري. عبرنا التقاطع بلا مشاكل، وفي الوقت المناسب، لنجد أن أبناء رفاقي المرحين النجـديين قد ادخلوا الشاحنة وبشجاعة داخـل العقبة المائية وانتهوا بالتـوقف عند وسطها واستغرق تخليصهـا من بطن الوادي ساعتان، بينما قمت ومعي الدليل بالتجول بحثاً عن الطيور.

استفـدت من هذا التأخير للاسـتحمام في مـاء يصل عمقه إلى الركـبة وكان حمـاماً منعشاً جـداً. كانت هنالك امرأة على مـسافة تجـاه أسفل الوادي، ترتدي السماق العادي الأحمر اللون، تشرف على سقيا قطيع أغنام وعجول تابعة لها إلى أن حضر أحد الرجال وقاد الأغـنام إلى المراعي. كانت صخرة السايلة، التي أراها الآن، كأنهـا جزيرة ينساب الوادي من حولهـا وعلى جانبيهـا. بدأت وعلى بعد، وفوق كتلة الكور كـتلة صخرية شاخـصة يتعذر الوصول إليـها، والتي -بناء على الأسطورة المحلية- تأوي ثعباناً يقوم بحراسة كنز مخبأ. يكثر الحديث عن مثل هذه القصة في الجـزيرة العربية[1]، وربما في أي مكان آخر. أما فيـما يخص الطيور، فإن مقاطعة رنية كانت مخيبة للآمال.

حلّق صقر لم يتم التعرف عليـه فوقنا عند قمة الريع والتي رأيت بعض طيور الخطاف وبعض قنابر الصحـراء من صنف الحجاز تحلق حولها. وقـد جمعت من

(١) تُكثر الأسـاطير والخرافـات عند سكان البوادي والقرى والأريـاف في شبه الجـزيرة العربية، وغـالباً تبنى الأساطير التي سمعنا بها أثناء تجوالنا في جنوب الجزيرة العربية على بعض الظواهر الطبيعة كالأشجار، أو الصخـور، أو الآبار، أو مواطن القاذورات وغـيرها. وأحيـاناً أخرى تدور حول بعض الكائنات الحـية، كالكلاب، والقطط، والثـعابين، والطيور وما شابهـها، فتنسج حولهـا بعض الروايات المتناقلة والقصص الواهية حتى تصبح خرافة أو قصة تتناقلها الأجيال اللاحقة عن الأجيال السابقة. (ابن جريس).

منطقة الواحة طيور الذعرة الصفـراء الهازجة وصائد الذباب. شوهد الأبلق العربي من حين لآخر بين الصخـور وكانت طيور البلبل وآكل النحل والعصافـير والهدهد ويمام النخيل منتشرة في الواحة[١].

أعتـقد أنني قد رأيت في تغـذوه زوجاً من طيور الغـدَّاف بُنيّ الرقبة غـير أن الغداف الشائع في هذه الأجزاء هو المروحي الذيل والذي كان متوافراً في ممر الخنق وما جاوره. يجب أن أذكر هنا أن محصولي القـمح والشعير قد تم حصادهما في هذه المنطقة وذلك منذ أواخـر فبراير وأوائل مارس ويزرعـون، في الخريف، الذرة (الدخن). يصل عـمق بعض الآبار هنا إلى قامـتين فقط، وهي مـحاطة بأحـجار بازلتية لتحجز الرمال التي تم إخراجها من البئر.

تحركنا من جديد بعد الساعة الواحدة مساءً بعد تخليص الشاحنة من الوحل. قادنا منحدر قصير وحاد إلى فجوة في جـدار حجري، عبرنا من خلالها إلى قرية مقابل التي تقع عند حافة الصـحراء مطلة على الوادي. يتطور هذا الرف شرقاً إلى سلسلة منخفضة عارية تسمى تدوم والتـي يجري إلى يمينها طريق السيارات، قليلاً ناحية الجنوب الشرقي في الوقت الحاضر. كان المنظر بكامله محجوباً لحد ما بسبب الغيـوم التي نتجت من عـاصفـة الأمس الليلية، ونقلت زخـات من الرياح ذرات الرمال أمـامها. اخـترق طريقنا سهـلاً من طين رملي ناعم وأحمر تـتخلله، على مسـافات، شـرائط مرتفعـة قليلاً من حـصى أسود، مما نتج عنه تقـدماً ملمـوساً للرحلة، برغم أننا كدنا أن نفقد الطريق في موقع مـا حيث كانت هنالك مساحات رملية، مما دعانا للتوقف حتى يقوم الدليل باكتشافه.

---

(١) معظم هذه الطيور منتشرة في بلاد السروات الممتدة من نجران حتى الطائف. (ابن جريس).

برزت الصحراء على يميننا ناحيـة سلسلة أبي دريع والتي يجري إلى ما وراءها، وقريباً منا، سلسلة تلال التي يقف فيهـا ورك منيرة وزب الخثعمي[١] وهذه أسماء ذات دلالة لمعنى غيـر أخلاقي تكثر في الأسماء الجـغرافية في الجـزيرة العربية[٢]. قيل إن الخـثعـمي كان رجلاً من قـبيلة سـبيع[٣] ومنيرة امـرأة من القبيلة نفسـها الكلمتان الأخـريتان يشيران إلى أجـزاء في الجسم البشري ووضع السـمتين بجوار بعضهما البعض يدل على تلميح وغمز. ضاع عنا أثر نخيل الواحة تدريجياً، وبرز أمامنا مـشهـد جديد لتـلال، غير أنـنا كنا قد قررنـا أن نعسكر بجـوار فوهة أبي الدفوف الرملية، التي ذكـرناها من قبل، والتي وصلنا إليها حوالي السـاعة الرابعة مساء، بعد أن غطينا في سفرنا ما يقدر بخمسة وعشرين ميلاً في ذلك اليوم.

يجب أن أوضح هنا أن الإيقاع البطيء والواضح البطء لتـقدم رحلتنا إلى الأمام لم يكن بسـبب أي متـاعب في الطريق، ولكن بسـبب نزعـتي أن أتوقف مراراً لغـرض الملاحظات الجغرافية، لقد تأخرنا خلال هذا اليوم، لمدة ساعتين بسبب حادثة الشاحنة، غير أنه، في كل الأحول، لم يكن من المتوقع منا أن نغطي مسافة أكثر مما قد فعلنا.

---

(١) زب الخثعمي الذي ذكـر فيلبي يسمى (وقف) (مقابلة مع مترك السـبيعي) (ابن جريس). والورك ووقف عبـارة عن جبلين ضخـمين متقابلين، وقـد ذكرا كمـا ذكر غيرهـما من معالم رنيـة في أشعار الجـاهلية والإسلام، ومن ذلك قول الشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة العامري:

لهند بأعلى ذي الأغر(*) رسومُ إلى أحدٍ(*) كأنهن وشومُ
فوقف(*) فسلَّي(*) فأكناف ضـلفع(*) تربـع فيهـن تارةً وتقيمُ
بما قد تحل الوَاديين(*) كليهمـا زنانير(*) مربعٌ فتـدوم(*)

(*) الأسماء التي عليها (نجمة) هي أسماء جبال وأودية وشعاب في بلاد رنية. (ابن جريس).

(٢) بعض أسماء المواقع في الجزيرة العربية ذات دلالات لمعاني غـير أخلاقية، وقد لاحظت ذلك أثناء تجوالي في جنوبي المملكة العربية السعودية وبلاد اليمن خلال صيف عام (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م) (ابن جريس).

(٣) لا يمكن أن يكون الخثعمي من قبيلة سبيع؛ لأن قـبيلة خثعم منفصلة في الموقع والنسب عن قبيلة سبيع. (ابن جريس).

قررت أن أتفحص الغموض الذي يلف أبا الدفوف، فما أن توقفنا عن المسير عند أسفله، حتى تسلقته ومعي دليلي إلى منحدره الرملي، تاركين بقية الرفاق يشرفون على إعداد المعسكر وإعداد وجبة العشاء. كانت عملية الصعود صعبة نسبياً برغم أن الانحدارات السفلى كانت ذات أشجار فيها الغضا والرمث وحشائش نجيلية -قصباء بدون الاستطراد في ذكر الكثير عن تلك الزهرة الجميلة الصفراء المميزة للصحاري الرملية الصافية والتي تسمى نبات الزهر. صعدنا على امتداد حافة كحد السكين حيث بدا لنا أن الصعود سيكون سهلاً مقارنة مع المنحدرات الأخرى على أي من الجانبين. كان ارتفاع التل حوالي (٥٠٠) قدم أو أقل قليلاً، واستغرق وصولنا إلى قمته أكثر من نصف الساعة. كانت هنالك رياح شرقية قوية تهب دافعة ذرات الرمال نحو القمة، وظهرت الشمس منخفضة جداً وبدت تطل من خلال الغيوم في ضعف شديد وكأنها مريضة.

وتقع على مسافة قليلة إلى الشرق من موقعنا هضبة صغيرة تسمى سويقة، والتي قيل إنها تدل على موقع قرية قديمة، يعزونها كغيرها من هذه الأساطير إلى أسطورة بني هلال الذين كان يتكرر العثور على حجارة رحاهم وأماكن نيرانهم، كما قيل لي[1]. كانت القرية موقعاً غريباً للمعيشة، وذلك لأنها كانت تقع في وسط الجزء الشمالي لشريط طويل من الرمال تسمى نفود حنجران الذي يمتد بعيداً ناحية الجنوب من جوار سلسلة جبال كُلان المثلمة القمم كأنها المنشار والتي تفصلها عنها مسافة قصيرة من الرمل وتسمى عريق الوزران.

(١) كثير من الأساطير المنتشرة في أجزاء عديدة من الجزيرة العربية، وجميعها تدور حول قوة بني هلال في استصلاح الأرض وعمارتها: ــ كبناء البيوت، وحفر الآبار وغيرها من الأمثلة التي لا زالت بحاجة إلى دليل وبرهان. (ابن جريس).

يقع جزء كبيـر من رحلة الغد ناحية الغرب وموازياً إلى رمـال حنجران، كما تكون أكناف الكور برحة تطوقنا من ناحيـة الغرب، ذلك لأننا قد خرجنا الآن إلى سفوح تلالها وإلى كتلتها الصخرية الرئـيسة الشرقية، التي تبدأ بالأراضي الرئيسة: مسيجيرة وأم سريحه.

تقع صخور الحمَّان السوداء، والمغطاة بالرمال، قريباً من هنا إلى جهة جنوب الجنوب الغربي، مـغطية مـساحة تقـدر بنصف ميل مربع. وتـقف، بعيداً ناحـية الجنوب الغربي، العلامة الأرضية خشم الكور مـعلَّمة كتيفة الجنوبي الشرقي لكتلة كور برحة والتي تتجه، من تلك النقطة، ناحية الجنوب الغربي. كما تشاهد سللي في عتامة من خـلال الغمام وهو يقع إلى ما وراء كُلان غيـر أن قرى رنية لم تكن مرئية لنا.

خيب ظني هذا الكوم الكبيـر من الرمال الذي بدا وكأنه لا يرغب في إطلاق الموسيقى التي كنت قد توقعتها[1]، وحتى بعد محاولاتنا دفعها لذلك بتحريك كتل الرمل إلى أسفل منحدراته. وقد تخلينا عن المحـاولة وقررنا العودة للمعسكر، أنا ومحمد، وأخذنا نتزحلق عن طريق المنحدر الشـديد، حتى نوفر على أنفسنا مشقة السيـر إلى أسفل سالكين الطريق الذي صـعدنا به نفسه. كـان السفح، حقيـقة، منحدراً وعراً وكـانت الرمال ناعمة بالدرجـة التي لا تسمح لنا بالانزلاق، ولذلك لجأنا إلى تحـريك أيدينا وأرجلنا بقـوة ليساعـدنا ذلك على الهبـوط والحركـة فوق الرمال.

(١) تحدث فيلبي بتوسع عن ظاهرة الصوت الموسيقي الذي يحدثه تحرك الرمال في كتابه: **الربع الخالي**. (ابن جريس).

بدأت بعض الظواهر تقع حينما هبطنا بهذه الطريقة إلى حوالي (٣٠) أو (٤٠) قدماً. أطلقت كل انزلاقة أزيزاً واضحاً ومرتفعاً كأنه همهمة مكينة السيارة – بلا شك لا يوجد في هذا الأزيز ما يشبه إيقاعات الطبل غير أنه تواصل لثوان قليلة وكنا حينها ننزلق بالفعل وحتى إذا ما توقفنا، توقف الصوت. وحينما شرعنا في إنزلاقة أخرى، ظهر الصوت مرة أخرى. بدا لي أن الصوت يبث من كعوب رجلي أثناء شقها الطريق خلال الرمل، ولكن الصوت الذي أصدره محمد بالطريقة نفسها كان مختلفاً عن الصوت الذي صدر مني. فشل كلانا في إنتاج الكورس العام الذي تأكد لنا حدوثه في نايفة في الربع الخالي. ربما أثرت الأمطار الأخيرة على الإيقاع لموسيقية الرمال، ولكن نجاحنا المحدود أبرز السبب في تسمية التل. يجب أن أذكر أن الرياح كانت تهب من الجانب الخلفي للمنحدر المنقعر الذي كنا نتزحلق عليه وقد يكون هذا سبباً إضافياً لفشلنا في الحصول على نتائج كاملة.

خلعت حذائي وجواربي حينما وصلنا إلى المنحدرات السهلة السفلى، وذلك لأستمتع بالسير حافياً فوق الرمال ناصعة البياض. كان جميلاً أن نرى نباتات الصحراء الحقيقية مرة أخرى، متضمنة، إلى جانب تلك التي ذكرت من قبل، العلقاء، والنصى، والسبط، والثنداء. كما شاهدنا غزالاً منعزلاً أثناء اليوم، وقد أضفت إلى كيس طيوري طائر صرد رمادي. كانت الليلة لطيفة والقمر هلالاً والنجوم في عظمتها، غير أن درجة الحرارة الصغرى كانت (٧٣) درجة.

صحونا مبكرين يوم الخامس والعشرين من مايو. وواصلنا سفرنا سريعاً بعد الساعة السادسة صباحاً، فوق سهل رملي وقد كانت القيادة فوقه جيدة. أفزعنا بحركتنا ثلاث غزالات كانت فوق جانب من الأرض الصخرية الصعبة –هضيب

الأرانب-، وتقع على بعد خمسة أميال، وذلك أثناء عبورنا لسلسلة صغيرة عبر الطريق، ولما كانت الشاحنة على استعداد للمغامرة، فقد انطلقت المطاردة للغزلان. كان ابن فرج بارعاً في الرماية وأصاب إحداها -أنثى من النوع الأدمي- أكثر غزلان الصحراء شيوعاً. اقتربت صخرة الكور من نفود حنجران، وبعد أن قطعنا مسافة تقدر بـ (١٢) ميلاً تقريباً، كانت الفجوة بين المرتفع الأرضي الشامخ -خشم الكور على يميننا، وبين الرمال دون الميل الواحد.

كنا نسافر ناحية الغرب من شريط جنوبي إلى هذه النقطة، غير أننا التففنا بعد ذلك وبعنف جهة الجنوب الغربي وأصبح الجانب الجنوبي لكور على يميننا ترافقنا الرمال مع وجود تلال صخرية منخفضة على حافة الكور مكوَّنة ممراً. توقفنا بعد ثلاثة أميال عند بئري الجاهلية إلى جانب بئر ثالث كان على مسافة ليست بالبعيدة في الوادي. يوجد الماء في هذه الآبار عند عمق (١٣) قامة وقد شيدت بمواد بازلتية، وصهاريجها عريضة نسبياً. تقول الروايات إن بني هلال حفروا هذه الآبار، غير أنها الآن ملكاً لآل محمد من سبيع. توجد عند طرف الكور مجموعة شامخة من أربع قمم عالية متقاربة يسمى أحدها الداية وتسمى الثلاثة الأخريات مجتمعة الجاهلية على اسم الآبار. وتقع أمامنا، ناحية الجنوب الغربي، سلسلة جبال خشرم وقد ورد آنفاً أنها نهاية السهل الذي يفصل بين الشايل من الكور على الجانب الأيمن لوادي رنية. يتسع الممر الآن إلى الخارج ليضيف بعداً جديداً للبلاد وعلامات أرضية جديدة.

حضر إلينا صبي من سبيع، وكان يرعى إبله بجوارنا، لقضاء بعض الوقت معنا بجوار الآبار وأبدى بعض الاهتمام بمتابعاتي الخاصة بالطيور. كنت قد وضعت في حقيبتي قنبرة صحراوية وكنت أطارد طائر الأبلق العربي خسلة، حينما

علق الصبي على ذلك بما معناه أنني لن أحصل على هذا الطائر بالذات أبداً. وحقيقة فقد فشلت أن أمسك به. أفادني الصبي بأن هذه الطيور يتملكها الجن ويتعذر إيذاؤها وأنها حينما يقوم الناس لأداء صلاتهم فإنها تأتي وتشقشق فوق رؤوسهم. اسماها الصبي عبيسة ويبدو أن هذه الكلمة تعني «الجافة» ربما إشارة إلى بيئتها الصحراوية. كان المجرى الصغير للسيل والمنحدر من خلال مجموعة من القمم العالية مملوءاً بالجنبات الخفيفة مع بعض أشجار الطلح والسرح ولكن مياهه، إن كانت لا تزال موجودة فيه، فهي لا تصل إلى أبعد من الرمال المواجهة له.

واصلنا القيادة فوق سهل ضخم، من رمال خفيفة مع مساحات تكسوها شجيرات تالي خضراء، مثل الحمض. كان هنالك عدد معتبر من الجمال يرعى هذا المكان، وتوقفنا بالقرب من أحد مجموعاتها للحصول على بعض اللبن بعد الموافقة التامة من راعيها والقائم عليها والذي ينتمي إلى الفراعنة من سبيع، لقد كان لبناً لذيذاً، ذا رغوة، وقد قام ابن فرج وزملاؤه بحلبه من الضروع الضخمة في طاساتنا. وجدنا درب السيارات ممحواً في أجزاء عديدة في هذا السهل خفيف التربة، ولكن لم تكن هنالك صعوبة في الاحتفاظ بالاتجاه العام المطلوب، كنا دائماً وعلى فترات نعثر على الطريق القديم في مكان ما إلى جوارنا.

قطعنا حوالي (٢٧) ميلاً الآن منذ بداية السفر، إلا أن ملاحظتنا إلى حوالي نصف دستة من خيام البدو، دون إطالة الحديث عن خيمتين أخريين بيضاويتين لبيت متنقل لبعض أهل المدن الذين قد غادروا رنية متجهين إلى بيشة في اليوم السابق، إلى جوار مجموعة مناسبة من أشجار الطلح الشبيهة بالمظلة، أغرانا، كل هذا، للتوقف لتناول وجبة منتصف النهار ولننال بعض الراحة.

أعددت سريري تحت شجرة كبيرة بينما تراخى رفاقي في ظلال سياراتهم أو في خيامهم والتي كانوا قد استعجلوا نصبها. أعددنا لحم صيد مشوي، مقطعاً إلى قطع صغيرة، لزيادة الإحساس بالرفاهية والتراخي. إلى جانب الآثار التي أحدثتها جرعات لبن الإبل الكبيرة. كانت درجة الحرارة في الظل، تحت شجرتي، (١٠٠) درجة بالضبط. وكان الجو حاراً، وبلا هواء، خلال الساعة الأخيرة لقيادتنا السيارات. كانت الرمال من تحت أقدامنا تبدو كالجمر برغم نعال المطاط لحذائي، إلاَّ أنه قد هب علينا، سريعاً بعد الظهر، نسيم بارد، واستمتعت خلاله براحة قصيرة.

لاحظت عش طائر صرد حينما استيقظت، مبنياً على الأغصان المورقة فوق رأسي، ولا بد -في اعتقادي- أنني قد صحوت على صرخات الطائرين الأبوين ربما بسبب نكبة أسرية تخصهما. فقد سقط صغير لم ينبت له نصف ريشة بعد، وهو غير متمكن من الطيران، إلى خارج العش غير أنه يستطيع فقط الجري بلا هدف محدد. كانت محاولاتي للإمساك به -لتزويد مجموعتي- مسلية بما فيه الكفاية، ذلك لأن الصغير قد استلقى على ظهره بتحفز وواجهني بمنقارٍ ضارٍ جداً بينما واصل الأبوان، دون اعتبار لما قد يصيبهما من خطر، في إرسال ترداد لصحيات من توبيخ قاس، موجهة لي أنا من فوق الأغصان التي كانت فوق رأسي مباشرة. غير أن العِلْم يجب أن يُخدم وأن هذا الطائر الصغير لا بد له وأن يدفع الثمن علماً بأنني تركت شقيقه وحيداً في العش لتعزية الوالدين الحزينين.

لاحظت عند هذه النقطة أنني قد وصلت إلى الحدود الحقيقية لمنطقة سبيع وعلى وشك الدخول إلى منطقة بيشة، والتي تصب في واديها كل المسايل التي اعترضت طريقنا. لذلك سأنهي هذا الفصل، بوصف موجز للمنظر المحيط. كانت

البقعة التي عسكرنا فيها قريبة جداً من قمة صخرية تسمى قمة عريَّض، بينما تلك القريبة منا، ناحية الجنوب والجنوب الغربي، فهي بالتالي، قمة وسيم الجرانيتية وقمة الجرانيت القائمة للصخرة المسماة أبرق الرمثة.

وتنهض خلفنا، ناحية الشمال الشرقي، تلال الجاهلية وتلال خشم الكور بينما إلى جهة شمال الشمال الشرقي وليس بالبعيدة منا تجري السلسلة الجبلية البارزة المنعزلة والتي تسمى خشرماً ذات القمة المركزية وتوجد أرض مرتفعة بارزة عند حدودها الشمالية. ويقع تل زهوة ناحية الجنوب الشرقي، على بعد، وتل آخر هرمي كبير أسود يسمى شميط فيمان إلى البعيد تجاه شريط وادي بيشة. ويقع ناحية الجنوب الغربي عدد من السلاسل أو مجموعات من التلال هي: عديمه، ومدورا، وبني رنفان، ومبدا النعام، ومن ورائها يوجد الجفر الذي يتاخم وادي بيشة نفسه على الجانب البعيد، بينما وإلى مسافة أبعد، جهة الجنوب الغربي توجد السلاسل الجبلية الشامخة وغير الواضحة لوادي المياه وأبا الغربان.

وتظهر القمة الحادة لخضعة إلى البعيد تجاه الغرب، والتي يبدو أنها هي آخر موقع في مرتفعات الشايل الذي ملأت كتلته العظيمة الفجوة الممتدة من غرب الشمال الغربي إلى الشمال الغربي.

كل ما تبقى كان ذلك السهل الواسع المسطح الذي وصلناه الآن وسنواصل السفر فوقه لأميال عديدة. كان المنظر، في جملته، موحشاً وغير ملهم.

obeikandl.com